

العمائر الدينية بتلمسان وناحيتها خلال الفترة العثمانية: المساجد أنموذجا
Religious buildings in Tlemcen and its environs during the Ottoman period: mosques as a model

مجاهدي إبراهيم

جامعة تلمسان (الجزائر)، brahim.medjahdi@univ-tlemcen.dz

تاريخ النشر: 2025/09/20

تاريخ القبول: 2025/09/14

تاريخ الاستلام: 2025/04/17

ملخص:

لقد احتلت منطقة تلمسان خلال الفترة العثمانية مكانة أساسية لدى الحكام، كيف لا وهي التي كانت مقرا لمركز الحكم قبل هذا الوقت بالذات، من هنا فلا شك في أنّ هذه الجهة قد أخذت اهتماما كبيرا خلال الحكم العثماني، وهو ما تأكّده النشاطات الثقافية والعلمية والدينية والمعمارية وحتى السياسية التي كان هذه المجال مسرحا لها. من هذا المنطلق تهدف دراستنا وتصبو نحو تسليط الضوء على المساجد بمدينة تلمسان وأحوازا خلال الفترة العثمانية، وإسقاط حيثيات هذا الأمر على التوجّهات الفنية والتقنية لهذه المنشآت من أجل ضبط أهم عناصرها المعمارية.

كلمات مفتاحية: المساجد؛ الفترة العثمانية؛ تلمسان؛ معمارية.

Abstract

During the Ottoman period, the Tlemcen region occupied a fundamental position with the rulers, how could it not, when it was the seat of the center of government before this particular time. Hence, there is no doubt that this region received great attention during Ottoman rule, which is confirmed by the cultural, scientific, religious, architectural and even political activities that this field was the scene of. From this standpoint, our study aims and aims to shed light on the mosques in the city of Tlemcen and its environs during the Ottoman period, and to project the merits of this matter onto the artistic and technical trends of these facilities in order to control their most important architectural elements.

Keywords: Keywords: mosques; Ottoman period; Tlemcen; architectural.

المؤلف المرسل: مجاهدي إبراهيم، brahim.medjahdi@univ-tlemcen.dz

1. مقدمة

لقد ضلّ دائما الباحثون والمؤرخون من تلمسان وغيرها يؤكّدون على الإهمال الذي أصاب تلمسان خلال العهد العثماني خاصّة من الجانب العمراني والمعماري، إلّا أنّ المتجول في أروقتها أو في أحواضها وأيضاً في باديتها يلاحظ عكس ذلك، فقد تواصلت الإنجازات العمرانية بهذه المدينة وغيرها من المداشر والقرى التابعة لها.

أمّا فيما يخصّ المساجد فلا يُعقل أن يبقى أيّ تجمع سكاني دونها سواء في عهد العثمانيين أو غيره وسواء أراد الحكّام الاعتناء بذلك أو أعرضوا، على أرض الواقع ووفقاً للتصميمات المعمارية واعتباراً لما تناولته الكتابات المصدرية واستناداً إلى الدلائل والشواهد المادية نجد أكثر من مسجد بُني بتلمسان وريفها ما بين سنة 1554م سنة إلحاق تلمسان بحكم البابلرباي وسنة 1842م تاريخ سقوطها التّهابي بيد المستدمر الفرنسي.

مقابل كلّ ما ذكر سابقاً، كان ولا بدّ لنا من تسليط الضّوء على العماائر الدينية المسجدية بمدينة تلمسان وأحواضها خلال الفترة العثمانية، وإسقاط حيثيات هذا الأمر على التّوجّهات الفنية والتقنية لهذه المنشآت من أجل ضبط أهم عناصرها المعمارية وتوزّعها، من هنا أتت هذه الأطروحة لتعط اللّثام عن هذه المسألة المعمارية الأثرية، وتجب على إشكالية رئيسية مفادها:

ما هي أهم المساجد الأثرية المنشأة بمدينة تلمسان وأحواضها خلال العهد العثماني؟

من الفرضيات الممكن الإشارة إليها هنا هي عدم اختلاف اثنان في المكانة المرموقة التي بلغتها منطقة تلمسان خلال الفترة الزبانية قبل التراجع إن لم نقل الإهمال الذي مسّها خلال الوجود العثماني به، إذ أصبحت فبعدا كانت قطبا حضاريا دينيا وفقهيا يحسب عليه ويرجع إليه أصابها الكثير من الخراب والاندثار.

تبقى أهمية دراستنا محصورة في كونها تقوم أساساً على الوصول إلى مخرجات عامة تضمن لها تحقيق أهمية كفيفة بالمساهمة في إثراء البحث العلمي المتعلق بالمنشآت المختارة للدراسة.

كما تكمن أهمية هذه الدراسة بالمقام الأول في كونها تلقي الضوء على جانب معماري مهم يتمثل في المساجد الأثرية العثمانية بمختلف جهات منطقة تلمسان.

أما عن أهداف الدراسة فهي تسعى إلى تسليط الضوء على فكرة عنوان الموضوع والمتمثل أساسا في إثبات أنّ المؤسسات المسجدية بمنطقة تلمسان لم تنحصر بالحاضرة أو المدينة الكبرى فقط بل تعدّت لتشمل العديد من الأرياف والبوادي والأحواز القريبة منها.

ترمي هذه الدراسة أيضا إلى وضع تصور مُستقبلي توافقي للخصائص العامة الفنية والتّقنية المتعلقة بمساجد مدينة تلمسان وأحوازها.

ونشير هنا إلى دراستنا قد قسّمت إلى ثلاث أضلع أساسية هي:

- المساجد العثمانية داخل النسيج الحضري لمدينة تلمسان.
- المساجد العثمانية بالأحواز الريفية والبدوية لمنطقة تلمسان.
- المساجد العثمانية داخل النسيج الحضري لمدينة ندرومة.

2. المساجد العثمانية داخل النسيج الحضري لمدينة تلمسان

تعتبر تلمسان القاعدة التاريخية والحاضرة الثقافية والعلمية على مرّ العصور الإسلامية، تقع أقصى غرب البايك على الحدود الغربية للإيالة مع بني وطّاس ثمّ العلويين من بعدهم، ولا شكّ من أنّ شهرة تلمسان قد تجاوزت حدود الإيالة، رغم كلّ هذا إلّا أنّ حاضرة تلمسان وعاصمة الزّيانين لم تحظى بذلك الاهتمام المقبول من الجانب العثماني، ولعلّ هذا الأمر هو الذي دفع بحمدان خوجة إلى القول بأنّ معسكر -خلال الفترة العثمانية- أكثر تقدّما من تلمسان رغم أنّ هذه الأخيرة ما زالت أكبر قيمة منها. (حمدان، 2007، صفحة 97)

اختارت الأستاذة ف. واليش منحى معاكس لهذا حيث ذهبت أنّ تلمسان خلال الحكم العثماني بالجزائر حافظت على ثقلها الحضاري وبقيت قطبا تجاريا نظير ما وجد بها من أسواق ومراكز تجارية، وصناعيا مقابل ما وجد به من أرباب الصناعات، وعلميا إذا انتبهنا لنشاط مختلف منشآتها الدّينية.

وقد عبّر الرحالة محمد المكناسي سنة 1785م عن الأحوال في تلمسان عند مروره بها قائلا:
"ومدينة تلمسان هي مدينة كثيرة مشهورة...إلا أن الخراب استولى على كثير من أطرافها...".
(المكناسي، 2003)

1.2. مسجد سيدي اليدون بمدينة تلمسان

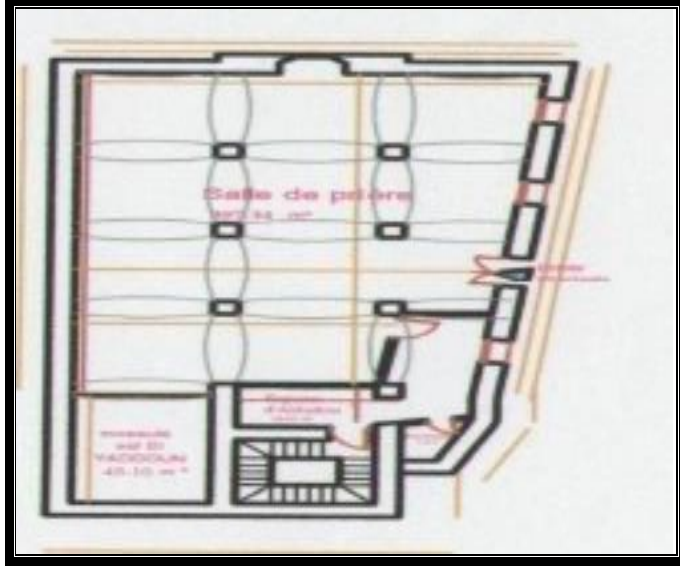
أ. التّحديد الجغرافي للمسجد: يقع هذا المسجد بحي سيدي اليدون أو حي رأس المصدع كما كان يدعى خلال العهد العثماني، ويسمى حاليا حي المدرس وهذه التسمية تعود للاحتلال الفرنسي.

ب. التّوثيق التاريخي لإنشائه: يُعتبر حي سيدي اليدون في جدّ ذاته إضافة عمرانية بتلمسان جرت خلال العهد العثماني على قول كثير من المهتمين والباحثين في الشأن التاريخي لتلمسان وفي مقدّمهم الأستاذ نقادي سيدي محمد، وراحت الأستاذة دحماني. ص إلى هذا الاتجاه انطلاقا من ثلاث نقاط أساسية أولها ما تنص عليه اللوحة الرّخامية التي كانت بجوار قبر الحاج الطاهر صار، والثاني هو ما ذكره صاحب كتاب البستان عن شخصية سيدي أحمد اليدون المكّي حدّوش، وأخيرا ما تداولته بعض المعطيات الشفهية للمشرفين السابقين على المسجد.

ت. الترجمة الشخصية لمنشئه: هناك اعتقاد عند أهل تلمسان من المهتمين بتاريخ مساجدها وحتى من المقيمين على هذا المسجد بأنّ هذا الأخير من عمل الباي الحاج عثمان أو عصمان بن إبراهيم والذي تقدّمت ترجمته عند الحديث عن إنشائه للجامع الكبير بمعسكر، وربما يكون هذا المسجد بُني بالذات على قبر الولي الصالح سيدي اليدون، وإلا فإنّه من عمل الكراغلة الذين أقاموا الحي العثماني بتلمسان.

ث. الوصف المعماري: تميل بيت الصلاة إلى الاستطالة وإن كانت في حقيقة الأمر غير منتظمة، وتنقسم إلى ثلاثة بلاطات متعامدة مع جدار القبلة وأربع أساكيب متوازية معه.

شكل رقم 01: مخطط مسجد سيدي اليدون



المصدر: نقلا عن مديرية الثقافة والفنون لولاية تلمسان

توزعت بيت الصلاة بهذا الشكل عن طريق ستّ دعائم مربعة تنتصب فوقها عقود منكسرة متجاوزة وأخرى نصف دائرية، هي التي تحمل السقف الجملوني للمسجد.

صورة رقم 02: بيت صلاة مسجد سيدي اليدون



المصدر: من تصوير الباحث

يتوسط المحراب الجدار القبلي وهو مضلع من ثمانية أضلاع بارتفاع كلي بلغ أكثر من 2.5م وعمق قريب من 1.5م، يعلوه عقد حدوي يرتكز طرفيه على عمودين رخامين، يتوج أعلاه ثلاث شمسيات متجاورة، ونلج إلى بيت الصلاة عبر مدخل رئيسي فُتح بالواجهة الغربية قوامه باب خشبي ذو مصراعين يعلوه عقد مفصص.

يحتل قبر الولي الصالح الركن الشمالي الغربي للمسجد مغطى بهيكل خشبي، كما تحتل المئذنة المرتفعة المسقط نفس الجانب.

2.2. مسجد لالة روية بمدينة تلمسان

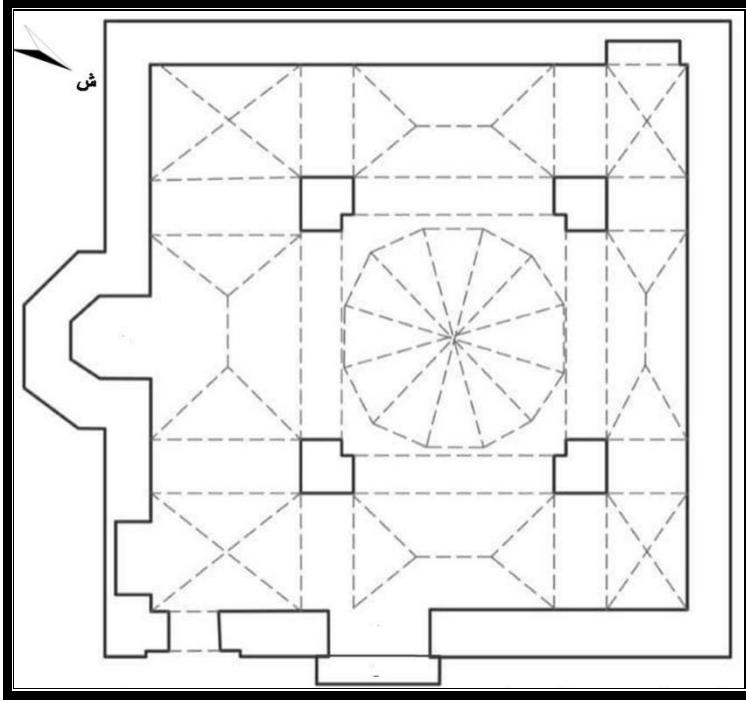
أ. التحديد الجغرافي للمسجد: يقع هذا المسجد بحارة الرمي-حي التالين قديما- بشارع الموحدين شرق مدينة تلمسان، يطل على الطحطاحة شرقي الجامع الكبير بتلمسان.

ب. التوثيق التاريخي لإنشائه: لقد ذكر الأستاذان رشيد بورويبة ورشيد دكالي بأن مسجد لالة رويا في تلمسان قد تأسس خلال التواجد العثماني بها (BOUROUBA, 1986, p. 07)، وجلّ الباحثين الذين تناولوا المساجد العثمانية بالجزائر واستندوا إليهما يرجحون -بل يؤكّدون أحيانا- فرضية بناء هذا المسجد خلال العهد العثماني (DOKAL, 1984, p. 42)، بينما نجد الجنرال كوفي Commandant Cauvet يضيف هذا المسجد إلى قائمة الأضرحة العثمانية بتلمسان وإلى نفس الفكرة أشارت الأستاذة ز. تكروشين. (زوليخة، 2021، صفحة 230)

ت. الترجمة الشخصية لمنشئته: لم نجد ترجمة ولا تصوّرا منطقيا لشخصية هذه المرأة إلّا بكونها كانت بتلمسان وابتنت المسجد بناء على رؤية في المنام.

ث. الوصف المعماري: يأخذ المسجد تصميمًا منتظما يعيل إلى الاستطالة، نلج إلى بيت صلاته عبر مدخل ذو عقد منكسر فُتح في الجهة الشمالية الشرقية منه، وقد سبقت بيت الصلاة بصحن نلج عليه عبر مدخل على يمين المدخل الرئيسي.

شكل رقم 02: مخطط مسجد لالة روية



المصدر: نقلا عن ز. تكروشين. (زوليخة، 2021، صفحة 231)

يعلو المسجد من الخارج قبة من القرميد هرمية من ثمانية أضلاع تتوضع على رقبة فُتِحَ بجوانبها الأربع فتحات للإضاءة، وهذه القبة في الحقيقة تغطي القبة الداخلية للمسجد المضلعة المكونة من اثني عشر ضلعا فُتِحَ في أربعة من أضلاعها فتحات مستطيلة غير معقودة وهي نفسها الفتحات البارزة في الرقبة من الخارج، وبأسفل كل فتحة من هذه الفتحات يوجد كوات معقودة بعقود منكسرة.

تقوم هذه القبة على أربع حنايا ركنية متقاطعة حوّلت التصميم المربع للفراغ المركزي إلى تصميم مضلّع للقبة المركزية، وارتكز الكلّ على عقود حدوية محمولة على دعائم بشكل الحرف اللاتيني L.

لوحة رقم 01: عقود المدخل الرئيسي وبيت الصلاة بالمسجد.



المصدر: من تصوير الباحث

3. المساجد العثمانية بالأحواز الريفية والبدوية لمنطقة تلمسان:

إنّ ما يلفت الانتباه من خلال اطلاعنا لعديد البحوث والدّراسات التي ركّزت على مكانة وأحوال تلمسان خلال الفترة العثمانية أنّ الحكام العثمانيين اهتموا بعمارة الصّواحي والأرياف أكثر من اهتمامهم بمدينة تلمسان في حد ذاتها، ومن أجل ذلك برزت العديد من المدن والبوادي المتفرقة شمال تلمسان وجنوبها خلال الفترة العثمانية في شتى المجالات الاقتصادية والثّقافية والاجتماعية.

1.3. مسجد القصبة العتيق بتيانت القديمة

أ. التّحديد الجغرافي للمسجد: يقع المسجد ببلدة تيانت القديمة أو قصبة تيانت، إذ يعتلي ربوة قوامها صخرة حجرية، يحيط به عدد من المنازل القديمة والأضرحة، ويحاذيه من جهة الشّمال مجرى الواد.

ب. التّوثيق التاريخي لإنشائه: اختلفت الرّوايات الشّفهية ومعها الكتابات المصدريّة والمرجعية حول تاريخ بناء المسجد، من أهمّها تلك التي رجّح فيها روني باسي أنّ مسجد قرية تيانت القديمة بُني من طرف سيدي قندوز الدّي عاش قبل وقت كتابة روني باسي لكتابه سنة 1901م بعقد من الزّمن زيادة على القرن-110 سنة- أي ما يوافق 1790م، ووافقت الأستاذة عثمانى كريمة هذا الطّرح أيضا، بينما رجّح

الأستاذين معروف بلحاج وإيشو عبد الحق بأنّ هذا المسجد أُسّس من طرف باي وهران محمد الكبير فيما بين 1779 و 1798م تاريخ حكم هذا الباي مستندين إلى رأي آخر تقدّم به روني باسي أيضا، (إيشو ومعلوم، 2021، صفحة 445) ولعلّ الاختلاف ما كان ليقع لولا وجود منشأتين معماريتين بنفس المجال مرتبطتين بنفس الشخصية هما هذا المسجد وضريح سيدي قندوز القريب منه، فالمؤكّد حسب روني باسي وغيره من الباحثين بأنّ الباي محمد بن عثمان الكبير قد ابنتى لصديقه سيدي قندوز أحد البنائين المسجد أو الضريح، وقد أشارت الأستاذة ع. كريمة إلى هذا الموضوع بالتفصيل معلّلة بما ذكره روني باسي في مقدّمته عن قبيلة تيانث بأنّ مولاي قندوز هو من ابنتى مسجد القرية، قبل أن يضيف بأنّ مسجد مولاي إدريس ابنتاه الباي محمد بن عثمان الكبير لصديقه سيدي قندوز والذي دُفن به بعد وفاته وقبره دون شاهد ويجاور قبره قبر أحد أصدقائه، لتعلّق الأستاذة ع. كريمة بأنّ هذه الموصفات تنطبق على قبّة مولاي قندوز القرية من المسجد وأنّ هذه الأخيرة هي الأخرى هي الأخرى كانت مسجدا صغيرا محتملة وجود فتحة للمحراب منتصف الجدار الشرقي لتستنتج في الأخير ما يلي (كريمة، 2018، صفحة 96):

- مسجد مولاي إدريس هو ما يُعرف خطأ لدى الناس بقبّة مولاي قندوز هو الأقدم وبناه الباي محمد بن عثمان الكبير.

- مسجد سيدي قندوز الذي يُعرف خطأ عند الناس بمسجد مولاي إدريس هو الأحدث وبناه سيدي قندوز بعد كثرة المصلّين وضيق مسجده الأول الذي دُفن فيه بعد ذلك.

ورغم أنّ هذا التّحليل يبدو منطقيا بالتّظر إلى أنّ دفن سيدي قندوز بعد موته لا يُعقل أن يكون في مسجد جديد يستعمله الناس فتمّ ذلك بالمسجد القديم، وربّما كان لجيولوجية الأرضية التي يقع بها المسجد دور آخر في ذلك نظرا لصعوبة دفن الولي الصّالح فيها، كما أنّ ما يبدو مؤكّدا انطلاقا من الطراز المعماري هو أنّ ما يُعرف عند النّاس بقبّة سيدي قندوز هي ذات تصميم عثمانى محض قائم على القبّة المركزية المحاطة بأربع قبيبات في الأطراف.

أ. الترجمة الشخصية لمنشئه: إذا أخذنا بالرّأي القائل بأنّ سيدي قندوز هو من ابنتى مسجد القرية فالمعلومات حول هذه الشخصية قليلة، وأغلب ما جاء عنها هو ما ذكره روني باسي بأنّ سيدي قندوز من

قرية زاي ويُحتمل أن يقصد من هذه القرية إمّا أولاد زيري بالغزوات أو قرية القنادز ما بين جباله وتيانث، استقرّ بهذه الأخيرة رفقة أخيه الأصغر منه سنّا سيدي البشير وبها قام بالتعليم، وكان مقرّبا من الباي محمّد بن عثمان الكبير الذي ابتنى له مسجدا، وكانت وفاته قبل عام 1208هـ المتصادفة مع 1793 أو 1794م رجّحتها الأستاذة عثمانى بسنة 1790م. (كريمة، 2018، صفحة 97)

ث. الوصف المعماري: ما يلفت الانتباه بالمسجد قبل بداية وصفه معماریا هو غياب بيت الوضوء منه لسبب أو لآخر كتهديمه أو الاستغناء عنه أصلا بحكم وجود المسجد ملاصقا لعدد من المنشآت والتضاريس المائية، وإن كان الأمر قد تمّ تداركه مؤخرًا بإضافة بيوت للوضوء خارج مجال المسجد، من جهة أخرى فإنّ هذا المسجد قد تطوّر وفقا لثلاث مراحل كبرى أساسية هي فترة بنائه خلال العهد العثماني ثم الإضافات التي تلت ذلك إبّان الاحتلال الفرنسي أولا ثمّ بعد الاستقلال الوطني أخيرا.

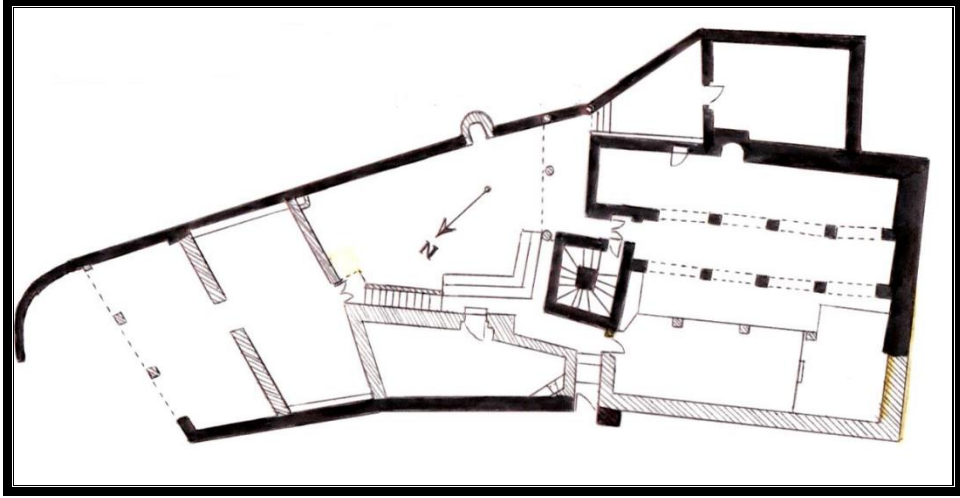
صورة رقم 03: منظر شامل لمسجد مولاي إدريس.



المصدر: من تصوير الباحث

حاليا يتكوّن المسجد من عدّة مرافق ووحدات معمارية مجموعة مشكّلة مجالا غير منتظم يميل إلى الاستطالة من الشمال إلى الجنوب بطول يتجاوز 30م وعرض 24م تقريبا.

شكل رقم 03: مخطط مسجد مولاي إدريس بتيان



المصدر: نقلا عن كريمة عثمانى. (كرامة، 2018، صفحة 85)

نلج إلى المجمّع الديني عبر مدخل حديث رئيسي تتقدّمه سقيفة تغطيها ظلّة تنتصب على أربع أعمدة إسمنتية، نصل من خلالها إلى الصحن وعلى يمين الدّاخل إليه سلم يؤدّي إلى غرفة علوية كانت مخصّصة لإيواء الطلبة.

من الصّحن يمكننا الولوج إلى باقي الوحدات المعمارية كالمئذنة المستطيلة المسقط يدور سلّمها الداخلي المكون من 67 درجة بشكل حلزوني حول دعامة مصممة مربعة المسقط، والخريش المخصص لتعليم القرآن والملاصق لبيت الصلاة من جهتها القبليّة.

أمّا عن بيت الصّلاة فنلج إليها عن طريق مدخل مستطيل معقود بعقد منكسر ومتجاوز يعلوه إفريز خزفي، وهي تقريبا ذات تصميم مربّع محرابها نصف دائري المسقط يتوسط جدار القبلة يعلوه عقد منكسر متجاوز ويحيط به بلاطات خزفية عثمانية محاطة هي الأخرى بشرط مقعر.

تنقسم بيت الصّلاة إلى أربعة أساكيب موازية لجدار القبلة ومثل عددها من البلاطات المتعامدة عليه باستثناء الأسكوب الأول الذي حصر في جهته الشماليّة حجرة إضافية لتشكل بلاطة خامسة متعامدة على جدار القبلة، وقد قام هذا التقسيم على أساس 13 دعامة مربّعة طول ضلعها نصف متر أربعة منها مصمّطة في الجدارين الشرقي والغربي وهي الخاصة بالأسكوبين الأولين فقط، تنتصب على هذه الدّعامات عقود منكسرة ومتجاوزة.

2.3. المسجد القديم ببلدة جامع الصخرة

أ. التّحديد الجغرافي للمسجد: يقع هذا المسجد على حافة الطّريق المؤدي إلى كل من الغزوات وندرومة وتيانن انطلاقاً من قرية جامع الصّخرة.

ب. التّوثيق التاريخي لإنشائه: رجّحت الأستاذة ك. عثمانى أن يكون التاريخ المحتمل لإنشاء هذا المسجد هو أواخر الفترة العثمانية على أقصى تقدير (كرّمة، 2018، صفحة 114)، مشيرة إلى أنّ فرضيتها مبنية على أساسين اثنين هما:

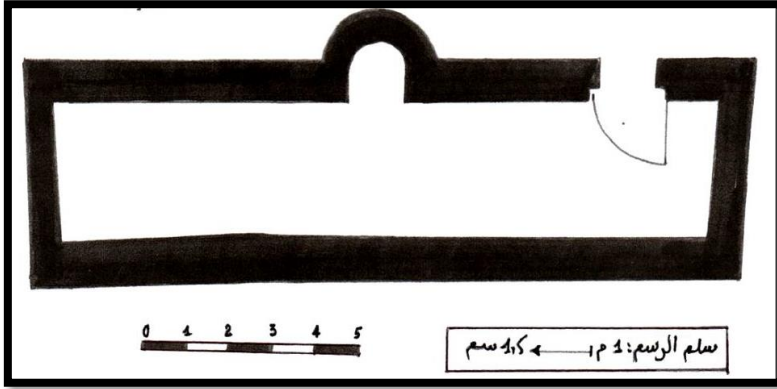
- الرّواية الشّفهية المتداولة لدى سكّان القرية بأنّ لا أحد من مسيّ القرية ولا جدّ جدّ أحدهم يعلم تاريخ المسجد أو عاصر بنائه.

- إشارة روني باسي سنة 1901م إلى أنّ هذا المسجد قديم.

ت. الترجمة الشخصية لمنشئه: لم نجد تفصيلاً عن أي شخصية تحدّثت عنها المصادر ولا المراجع -في حدود اطلاعنا- محتملة لبناء هذا المسجد، ممّا يؤدّي بنا إلى الافتراض بأنّ بناءه تمّ على يد أهالي القرية ومن تبرّعواهم.

ث. الوصف المعماري: يتكوّن المسجد من غرفة واحدة تمثّل بيت الصّلاة، تأخذ هذه الأخيرة تصميمًا مستطيلاً طوله حوالي 10م وعرضه 2.15م تقريباً.

الشكل رقم 04: مخطط مسجد قرية جامع الصخرة



المصدر: نقلا عن ك. عثماني (كريمة، 2018، صفحة 116)

سُقِّفَت هذه الغرفة بشكل مستوي تَوَجَّت أركانها بِشَرَفَاتٍ مَسْنُونَةٍ، فَتَحَ بِالْجِهَةِ الْقِبْلِيَّةِ مَدْخَلَ عَلَى يَسَارِ الْبُرُوزِ الْخَارِجِيِّ لِلْمَحْرَابِ عَرْضُهُ 0.85م وَعَرْضُهُ 2,10م، يَتَوَسَّطُ الْمَحْرَابُ الْجِدَارَ الشَّرْقِيَّ لِلْمَسْجِدِ وَيَرْتَفِعُ بَعْدَهُ نِصْفَ الدَّائِرَةِ 02م بَيْنَمَا بَلَغَ عَرْضُ فَتْحَتِهِ 0.9م.

الصورة رقم 04: مخطط مسجد قرية جامع الصخرة



المصدر: نقلا عن ك. عثماني (كريمة، 2018، صفحة 116)

3.3. مسجد ثابت بن زيد بقرية تاسليت نواحي سيدي العبدلي

أ. التّحديد الجغرافي للمسجد: يقع مسجد زيد بن ثابت شمال شرق قرية تاسليت، نصل إليه امتدادا على الطّريق الرئيسي المار بوسطها، حيث يقع المسجد عند نهايتها مجاورا للمقبرة القديمة للبلدة، والملاحظ أنّه يقع خارج القرية وليس بوسطها وهي السّمة التي تميّزت بها الكثير من القرى خاصة تلك ذات الجذور البربرية، ومفاد ذلك كلّه منع الغرباء عن القرية والمارة من الولوج إلى وسط القرية دون سبب يُذكر.

ب. التّوثيق التاريخي لإنشائه: رغم أنّه ليس هناك تاريخ محدّد بصفة رسمية إلّا أنّ هناك بعض المعايير يمكن أن نعتدّ بها في تأريخ زمن المسجد لعلّ أهمّها:

- شاهد قبر الولي الصالح سيدي محمّد أبو عبد الله بن محمّد بن عبد الرّحمان الأدغم السّريدي المتوفّي في ثمانينيات القرن العاشر الهجري المصادف لأوائل الرّبع الأخير من القرن السادس عشر (دحماني، 2022، صفحة 44)، ويعتبر هذا الأخير أحد تلامذة الشّيخ الذي تنسب إليه القرية سيدي علي بن يحيى الجاديري المتوفّي سنة 1566م (المديوني، 1975، صفحة 146)، إذ لا يُعتقد بأنّ المسجد قد بُني قبر هذا التّاريخ إذ ما أخذنا بعين الاعتبار أنّ الكثير من الأولياء الصالحين خلال هذا العهد بالذّات - العثماني - يدفنون مباشرة داخل مسجدهم أو زواياهم، ولكن كلّ هذا يتعارض نسبيا مع مسألة أخرى كثيرا ما نجدّها خلال هذه الفترة وهي المعبر عنها بـ: " بُني على قبره مسجد " والتي كثيرا ما شاعت بالجزائر خلال الحكم العثماني.

- إشارة عابرة أفردّها أبو عبد الله محمّد بن الطّيب الجيلاني القادري المتوفّي سنة 1773م مفادها بأنّ الشّيخ أبو عبد الله محمّد بن محمّد بن الحاج بن منصور العامري التلمساني ثمّ التّازي المتوفّي بعد عام 1754م كان قد مرّ بضريح سيدي محمّد العبدلي المتوفّي سنة 1625م خلال رحلته من تازا متوجّها نحو الأزهر ثمّ الحجاز في حوالي سنة 1744م وصلّى هناك الجمعة وهذا باعتبار أنّ سيدي العبدلي أستاذ شيخه (القادري، 1983، صفحة 499)، فلا يُعقل أن لا يكون مسجد جامع بالمنطقة في تلك الفترة بالذّات خاصّة وأنّ نفس المؤلّف وفي عمل آخر له كان قد أشار إلى إمكانية أن يكون إمام الجمعة هناك

هو أبو محمد عبد الله بن أحمد ابن عبد العزيز بن عزوز المراكشي التلمساني المتوفى بعد وفاة الكاتب بأقل من عشر سنوات حوالي 1780م. (القادري، 1983، صفحة 285)

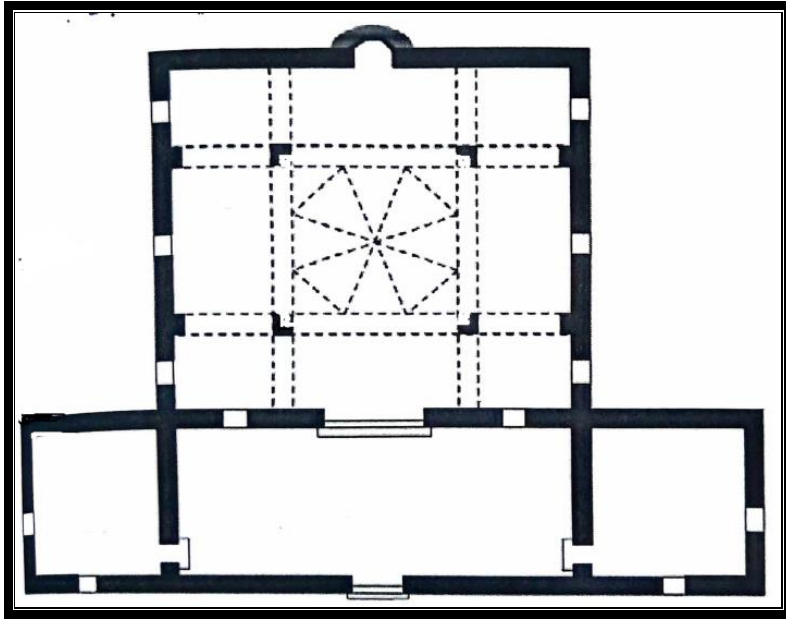
- الطراز المعماري في حدّ ذاته القائم تصميمه أصلا على تمرّكز القبّة وسط البناء، وهو الذي شاع كثيرا بالجزائر خلال هذه الفترة، بل تعدّى الأمر إلى كونه أصبح السّمة المميزة لمختلف المنشآت العثمانية بالجزائر وغيرها من الأقطار خاصة ضمن المنشآت الدّينية.

لعلّ هذه الإشارات الثلاث تقودنا إلى القول بأنّ المسجد قد بُني ما بين 1554 و1744م ترجيحاً، ولا يعدو أن يكون هذا التّقدير الزّمني مرتبطاً بالتحليل المنطقي الذي استنبطنا نتائجه من هذه المعايير الثلاثة المذكورة أعلاه.

ت. الترجمة الشخصية لمنشئه: لا يُمكن الجزم بأي شخصية كان لها كامل الفضل في إنشاء هذا المسجد، لذا يمكننا أن نرّجح بناء هذا المسجد أنّه كان من عمل أهل قرية تاسليت.

ث. الوصف المعماري: يتكوّن مسجد تاسليت من وحدتين معماريتين أساسيتين هما بيت الصلاة والصحن المتقدّم عنها، وأمّا عن هذا الأخير فقوامه ثلاث أجزاء رئيسية تتوسّطها مساحة مستطيلة مكشوفة تمثّل الباحة الّتي تتقدّم المدخل الرئيسي لبيت الصلاة تحيط بها مجنبتين مربّعتين.

شكل رقم 05: مخطط مسجد تاسليت



المصدر: نقلا عن دحماني جمال الدين-بتصرف- (دحماني، 2022)

أما قاعة الصلاة فتتقسم إلى تسع مساحات انتظمت وفقا لثلاث بلاطات عمودية على جدار القبلة وثلاث أساكيب متوازية معه، تمّ تسقيف المساحة المركزية منه بواسطة قبة مضلعة من 18 فصا تحملها رقبة مربعة تمّ الانتقال فيها من التربع إلى المستط المثلث للقبة عن طريق حنايا ركنية.

وقد نشأ أصلا هذا النظام انطلاقا من عقود مرتكزة على دعامات على شكل الحرف اللاتيني "L"، والعدد الكلي للدعامات هو ثمانية حيث أربعة تتوسط بيت الصلاة وهي الحاملة للقبة والباقي مصمط في الجدران.

4.3. مسجد المعدن بمدشر احجاجة في بني وارسوس

أ. التّحديد الجغرافي للمسجد: يرتفع مسجد المعدن فوق ربوة شمال الدّشرة تحت أعلى قمة بجبل سيدي سفيان، نصل إليه عبر مسلك معبد ينطلق من بني وارسوس باتجاه مداشر زياينة والحمام والجداوى وأولاد بلقاضي واحجاجة وغيرهم.

ب. التّوثيق التاريخي لإنشائه: لا شكّ في أنّ هذه المساجد الرّيفية تسمو إلى أن تكون صعبة المنال للوصول إلى تاريخها، وهذا ما يلاحظ وتنبّه عليه في كافّة الدّراسات الأكاديمية التي مسّت المساجد الأثرية بالجزائر الواقعة بالرّيف بعيدا عن المدن، ولعلّ مسجدنا هذا واحد من تلك المساجد فالداخل إليه حتّى ولو لم يكن على اطلاع بأهمّ الضّوابط المعمارية والتّاريخية والأثرية لعمارة المساجد إلّا أنّه يتأكد بأنّه ذو تاريخ طويل، هذا ما جعلنا نتبّع جلّ ما جاء في المصادر والمراجع لعلّنا نصل إلى ما يفيدنا في هذا التّحقيق، ويعتبر ما ذكره الشّيخ عيسى بن محمّد اليحيوي الرّاسي البطوي المتوفّى بعد سنة 1636م هو المنطلق الأوّل نحو هذا التّحقيق، فقد كان مؤلّفه الموسوم بـ: "مطلب الفوز والفلاح في آداب طريق أهل الفوز والصلاح" المتضمّن رحلته إلى تلمسان عامرا بالإشارة إلى المنشآت الدّينية بتلمسان ومختلف مداشرها القريبة والبعيدة خاصّة نواحي ترارة وولهاصة، حيث أشار في مجمل ذلك كلّ أنّه لما كان بترارة زاره بمسجده الشّيخ أبو زيان بن أحمد التلمساني الجرائي (البطوي، 2000، صفحة 23)، ويواصل البطوي الحديث عن سبب نزوحه من تلمسان نحو ترارة قبل ذلك بأنّه كان بغرض البحث عمّن يُساعده من ظروف العيش، فتّم له ذلك عند صديقه أحمد بن ونيس الحلافي المقيم بمسجد دشرة المنزل لدى بني عابد بهنين، حيث تمّ التّوسّط له لدى السّكان من أجل أن يعيّن مشارطا بالمسجد الجديد بمدشر احجاجة بترارة سنة 1598م (البطوي، 2000، صفحة 43)، ولا يُستبعد في أن يكون وصف مسجد المعدن أو مسجد مدشر احجاجة بالجديد دليلا على بنائه في فترة قريبة من هذه الحادثة، إذ لا يعدو أن يكون قد أسّس قبل 1550م على أقصى تقدير.

ت. الترجمة الشخصية لمنشته: لا يُمكن الجزم بأي شخصية كان لها كامل الفضل في إنشاء هذا المسجد، ولكن ومن خلال ما ذكره البطوئي والفكيكي نصل إلى أنّ هذا المسجد من عمل أهل مدشر احجاجة.

ث. الوصف المعماري: نأسف كثيرا للوضعية الحالية لهذه الجوهرة الأثرية الفريدة من نوعها بالمنطقة وما لحق به من تخريب ودمار خاصة خلال العشرية السوداء، إذ يبدو سقف المسجد والكثير من الوحدات المعمارية مهدمة، ويمتد هذا المسجد بشكل طولي لتتقسم بيت صلاته بذلك إلى أسكوبين موازيين لجدار القبلة وأربع بلاطات عمودية عليه، وقد نشأ هذا التقسيم بواسطة بائكة أو قنطرة موازية لجدار القبلة قوامها ثلاثة عقود نصف دائرية محمولة على دعائم مربعة، باستثناء البلاطة الرابعة من الجهة الشمالية الشرقية التي جاءت عبارة عن مدخل مستوي.

صورة رقم 05: بيت الصلاة



المصدر: من تصوير الباحث

يتوسط بيت الصلاة محراب يتوّج أعلاه عقد متجاوز ومنكسر واحتلت المئذنة الركن الجنوبي الغربي وهي مربعة المسقط تم تدعيمها من الداخل بواسطة دعامة صماء نصل إلى أعلاها بواسطة مدخل فُتح بسطح المسجد.

4. المساجد العثمانية داخل النسيج الحضري لمدينة ندرومة.

إنّ ما يمكن الإشارة إليه في هذه الفترة بالذات هو الصّراع الثلاثي الذي كان حاصلًا بين القوى الثلاث العثمانيين والإسبان والعلويين ورغبة كل واحد منهم في السيطرة على إقليم ندرومة وترارة، إلى غاية المعاهدة التي وقعت بين قبائل ترارة وبني سنوس ومطغرة تحت إشراف سيدي عبد الرّحمان اليعقوبي، والرّامية إلى محاربة الإسبان الصّليبيين.

1.4. مسجد لالة حدادة

أ. التّحديد الجغرافي للمسجد: يقع مسجد حدادة بجوار باب المدينة، وهو الباب الشّمالي لندرومة ومنه يتم الولوج إلى وسطها، وبذلك فإنّ هذا المسجد يتموضع بوسط الطّرف الشّمالي للمدينة.

ب. التوثيق التاريخي لإنشائه: اتفق كل من شارل دي موبري وجوزيف كانال وروني باصي والطّال عبد الرّحمان وعز الدين ميدون بوجود 10 مساجد أثرية بندرومة قبل ثمانينيات القرن 19م -وهو تاريخ السّماح للجزائريين ببناء المساجد العتيقة في إطار قانون الحرّية الدّينية-.

وإذا جمعنا كلّ المعطيات والأبحاث والدّراسات المتناولة للمساجد الأثرية والتاريخية والقديمة بندرومة-في حدود اطلاعنا- لننتج عن تقاطع كلّ ذلك في اعتقادنا 10 مساجد أنشئت قبل الاحتلال الفرنسي للمدينة هي: الجامع الكبير، مسجد القدارين، مسجد لالة الزّهراء الشّريفة، مسجد سيدي سلطان، مسجد سيدي سياج، مسجد رأس الجماعة، مسجد سيدي بوعلي، مسجد سيدي منديل، مسجد الرّؤية، مسجد حدادة (ميدون، 2011، الصفحات 46-49)، ولعلّ هذه أول نقطة فيما يخصّ تأريخ مسجد حدادة والذي نرى أنّه بُني خلال العهد العثماني في ذلك المكان اعتقادًا منّا بأنّ أغلب

مساجد الأحياء بندرومة المرّجح أنّها شُيّدت قبل العهد العثماني لم تُبنَ أمام الأبواب مباشرة بل بداخل الدّروب إلا المسجدين حدادة ورويا.

وقد أعطى الأستاذ عبد العزيز لعرج فكرة واضحة في هذا الشأن مقارنة بين قولي روني باصي وجوزيف كنال إذ يعتقد بأنّه قد كان بندرومة نهاية العهد الرّياني بها 08 مساجد في حين أضحي بها أواخر القرن الثامن عشر وخلال القرن التاسع عشر 11 مسجدا (لعرج، 2000، صفحة 170)، ممّا نستشفّ من قوله بأن ثلاث مساجد على الأقل بُيّت خلال العهد العثماني، ولا نستبعد أن يكون مسجدي حدادة والرّؤية إحدى هذه الثلاثة نظرا لعدم وجود مساجد أخرى قديمة -غير الثمانية الواردة الذّكر- لا يتذكّر كبار سكان ندرومة بناءها سواء مشاهدة أو إخبارا وحكاية، أمّا الأستاذتان ه. بطيّب وأ. بركات والباحث كاظم موسى الطائي فينطلقون نحو بناء مسجدي حدادة والرّؤية خلال العهد العثماني استنادا إلى ما ذكره روني باصي بأنّ لا أحد من أبناء البلدة ولا جدّ جدّ أحدهم يتذكّر بنائها (الطائي، 2011، صفحة 06)، ممّا جعلنا نفترض بنائها قبل 1816م، وقد عدّهما المؤرخ أبو القاسم سعد الله ضمن مساجد ندرومة التي كانت قبل الاحتلال الفرنسي والتي تقع ضمن التّسيج الشمالي للمدينة بقوله: "والجامعان الأولان-يقصد الجامع الكبير وجامع القدارين- يقعان كلاهما في حي بني زيد في جنوب شرق المدينة، وفي الحي الجنوبي الغربي مساجد سيدي بوعلي ولالة عالية وهناك مساجد أخرى في شمال المدينة، وهي جامع الحدادين وجامع الرعية-يقصد بهما مسجدي حدادة والرّؤية- وجامع سيدي السياج-القريب منهما-". (سعد الله، 1990، صفحة 105)

صورة رقم 06: مسجد حدادة.



المصدر: من تصوير الباحث

ت. الترجمة الشخصية لمنشئته: لقد انتشرت ظاهرة بناء النساء أو الوليات الصالحات للمساجد بندرومة وتواصلت بداية من العهد المرابطي مثل مسجد لالة الزهراء الشريفة مروراً بالفترة الزيانية مثل مسجد لالة العالية وصولاً إلى التواجد العثماني مثل مسجدي حدادة ولالة روبا.

ث. الوصف المعماري: يتكوّن المسجد من بيت صلاة فقط تأخذ تصميمًا مربعًا تقريباً طول ضلعه 10م، نلج إليها عبر مدخل واحد فُتِح في جداره الشمالي معقود بعقد منكسر متجاوز يتركز طرفاه على عمودين مربعين نصف مدحجان بالجدار.

تنقسم بيت الصلاة إلى ثلاثة بلاطات موازية لجدار القبلة وخمسة بلاطات عمودية عليه تشكّلت عن طريق قنطرتين تتوسّطان بيت الصلاة قوامهما عقود منكسرة ومتجاوزة محمولة على تيجان مرتكزة على أعمدة أسطوانية، ويتوسّط الجدار القبلي المحراب المضلع والمتوج بعقد ثلاثي الفصوص.

صورة رقم 07: العقود والأعمدة المرتكزة عليها ومحراب بيت الصلاة.



المصدر: من تصوير الباحث

يكتنف المحراب من الجانب الشمالي خزانة كبيرة عقدت بعقد منخفض وبماثلها من الجانب الجنوبي للمحراب نافذة بنفس مواصفاتها التصميمية، كما فُتِح في جداره الشمالي المحتوي على المدخل نافذتين معقودتين بعقد منخفض تكتنفان المدخل يمينا ويسارا فهو يتوسطهما، كما نجد في الركن الشمالي الشرقي من المسجد خزانة خشبية تحجب وراءها العين المائية التي أصبحت مسدودة اليوم وهي معقودة بعقد منكسر ومتجاوز.

2.4. مسجد الرؤية:

أ. التّحديد الجغرافي للمسجد: يقع هذا المسجد مقابلا لمسجد حدادة، وبالضبط في المسلك أو الزنقة المؤدية إلى مسجد سيدي سياج والتربية.

صورة رقم 08: مسجد الرؤية.



المصدر: من تصوير الباحث

ب. التوثيق التاريخي لإنشائه: نفس الكلام الذي قيل عن مسجد حدادة ينطبق عن هذا المسجد، إذ يشتركان في التأصيل التاريخي لهما، وهو ما جعلنا نستغرب اشتراكهما في التاريخ والمجال الواحدين مما يجعلنا نعتقد ارتباطهما مع بعض في جزئية ما ولو على الأقل في قرابة السيدتين حدادة وروية.

ت. الترجمة الشخصية لمنشئته: ليس لدينا أدنى تفصيل عن الشخصية التي كان لها الفضل في بنائه.

ث. الوصف المعماري: يتكوّن المسجد من بيت صلاة فقط تأخذ تصميمًا مستطيلًا طوله 14م وعرضه 07م، نلج إليها عبر مدخل واحد فُتح بواجهته الجنوبية معقود بعقد حدوي يتركز طرفاه على عمودين مربعين نصف مدججين بالجدار.

تنقسم بيت الصلاة إلى ثلاثة بلاطات موازية لجدار القبلة ومثل ذلك من البلاطات العمودية عليه تشكّلت عن طريق قنطرتين تتوسّطان بيت الصلاة قوامهما عقود منكسرة ومتجاوزة محمولة على تيجان مركزة على أعمدة أسطوانية، ويتوسّط الجدار القبلي الحراب المضلّع والمتوج بعقد ثلاثي الفصوص.

صورة رقم 09: العقود والأعمدة المرتكزة عليها ومحراب بيت الصلاة.



المصدر: من تصوير الباحث

يكتنف المحراب من الجانبين خزانتيْن كبيرتيْن أو حنيتي أوقاف عقدتا بعقد منكسر ومتجاوز، كما فُتح في جداره الجنوبي المحتوي على المدخل نافذتيْن معقودتيْن بعقد ثلاثي هي الأخرى.

4. خاتمة:

تتنوع المعطيات الواردة عن مساجد منطقة تلمسان وأحوالها خلال العهد العثماني لتعطي العديد من المعلومات والشذرات المتفرقة هنا وهناك، والتي تجعل من تكوين رصيد تاريخي وجغرافي وحضاري عن مساجد المنطقة ممكنا إذا تم استغلالها أحسن استغلال، ولا يمكننا أن ننكر أنّ عدة شخصيات صوفية قد لعبت دورا هاما حتّى أصبحت المفتاح الأساسي في هذه العملية.

لا اختلاف بين الباحثين والمهتمين بالشأن المعماري خاصة خلال الفترة العثمانية على احتضان منطقة تلمسان للعديد من المنشآت الدينية المنتشرة عبر ربوع مدنها وحواضرها من جهة وبين أطراف أريافها وباديتها من جهة أخرى، إلّا أن المثير للانتباه هو قلة التوثيق والتأليف حول هذه المنشآت مقارنة

بنظيراتها شرقا وغربا، ولعلّ دافع ذلك كلّ راجع إلى اختلاف المعطيات المناخية والتضاريس الجغرافية أولا، ثمّ تأثر عمارة هذه المنطقة بمثلتها المغربية والأندلسية ثانيا، ثم إلى الهوية السياسية التي كانت دائما بين أهل تلمسان وجوارها مع العثمانيين.

والأهم من ذلك عدم استقرار الأوضاع الأمنية والسياسية بهذه الجهة من الإيالة طول فترة التواجد العثماني بها، دون إهمال ارتباط الإنشاء النهائي لهذه المباني بما يتوفر عليه البايك من مواد محلية محدودة أو من القلة القليلة للعناصر المستوردة من الخارج أو حتى بالاعتماد على المكونات الأساسية للمنشآت المعمارية السابقة لتلك الفترة.

5. قائمة المراجع:

1. BOUROUBA, R. (1986). *Apports de l'Algerie a l'architecture religieuse arabo-islamique*. Alger: office des publications.
2. DOKAL, R. (1984). *les Mosqués de la période turque à Alger*. Alger: s n e d.
3. البطوئي, ع. ب. (2000). *مطلب الفوز والفلاح في آداب طريق أهل الفوز والصلاح*. ح. الفكيكي (Éd.), الرباط: منشورات طارق بن زياد للدراسات والأبحاث، مطبعة النجاح الجديدة.
4. الطائي, ك. م. (2011). *دور العوامل الجغرافية في البعد الحضاري والاجتماعي لمدينة ندرومة*. ندرومة مدينة عبد المؤمن مجتمع، أنثروبولوجية وذاكرة. ندرومة.
5. القادري, أ. ع. (1983). *التقاط الدرر ومستفاد المواعظ والعبر من أخبار وأعيان المائة الحادية والثانية عشر*. هـ. ا. القاسمي (Éd.), بيروت: منشورات دار الأفاق الجديدة.
6. المديوني, أ. م. (1975). *البستان في ذكر العلماء والأولياء بتلمسان*. قسنطينة: دار الفقه المعرفي.
7. المكناسي, م. ب. (2003). *إحراز المعلى والرقيب في حج بيت الله الحرام وزيارة القدس الشريف والخليل والتبرك بقبر الحبيب*. م. بوكبوت (Éd.), أبو ظبي: دار السويدي للنشر والتوزيع.
8. إيشو ومعروف, ع. أ. (2021). *مسجد مولاي إدريس الريفي بمنطقة تيانة القديمة دراسة أثرية*. مجلة دراسات إنسانية واجتماعية. 445, 1(02), 1.
9. حمدان, خ. (2007). *المراة*. ت. م. الزيري (Trad.), الجزائر: وزارة الثقافة.
10. دحماني, ع. ج. (2022). *تاريخ المسجد العتيق: زيد بن ثابت بقرية تاسيلت تلمسان*. الجزائر: دار كنوز للإنتاج والنشر والتوزيع.

11. زوليخة، ت. (2021). دراسة تنميطية لأضرحة الجزائر من القرن 1هـ/7م إلى القرن 13هـ/19م من خلال بعض النماذج. أطروحة مقدمة لإتمام متطلبات الحصول على درجة الدكتوراه في الآثار الإسلامية، جامعة الجزائر: 02: معهد الآثار.
12. سعد الله، أ. ا. (1990). أبحاث وأراء في تاريخ الجزائر، ط3. لبنان: دار الغرب الإسلامي.
13. كريمة، ع. (2018). المعالم الأثرية بمنطقة الغزوات: جرد ودراسة لحالة الحفظ والتسيير. أطروحة مقدمة لإتمام متطلبات الحصول على درجة الدكتوراه في حفظ وتسيير التراث الأثري. جامعة أبي بكر بلقايد تلمسان: قسم علم الآثار، كلية العلوم الاجتماعية والعلوم الإنسانية.
14. لعرج، ع. ا. (2000). التطور التاريخي لمدينة ندرومة حتى سقوط الزنانية. مجلة بحوث. (01)06 ,
15. ميدون، ع. ا. (2011). ندرومة: مدينة الفن والتاريخ. الجزائر: دار السبيل للنشر والتوزيع.